الطقوس الجنائزية عند المغول من خلال الرحلات البابوية رحلة القس جون دي بلانو كاربيني (١٢٤٥-١٢٤٧م) أنموذجاً

أ.م.د. عباس خميس الزبيدي
جامعة القادسية / كلية التربية / قسم التاريخ

إنَّ طقوس وممارسات القبائل الرعوية – التي كانت تشاطر بعضها البعض حياة واحدة ومناخا واحد وتجمع بينها وشائج الدم والعرق حتى اجمع الرحالة في مختلف العصور على وصفهم وصفا مماثلا – في التعامل مع الموتى ضلت مجهولة للعالم في العصور الوسطى إلا ما ندر ، وان ما لدينا من معلومات هي مستقاة من مذكرات بعض الرحالة المسيحيين الذين وطأت أقدامهم ارض المغول – لأسباب دينية وسياسية – بعد أن علا شأن المغول وخروجهم من بؤرتهم – منغوليا – وسيطرتهم عل أراضي شاسعة – إسلامية ومسيحية - منذ بداية القرن ١٣ م / ٧ هـ نتيجة لتضافر جهود البعثات المسيحية – النسطورية و اللاتينية – .

إنَّ الغرب الأوربي لم يتعرف على حقيقة شعوب آسيا الوسطى ولم يبدأ في فحص مضامينها الثقافية فحصا عميقا إلا عن طريق الرحلات البابوية - أمثال رحلة القس جون بلانو كاربيني - التي تركت وصفا قيما لرحلاتهم وللأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع المغولي عامة والبلاط خاصة وان كانت معلومات بعض أولئك الرحالة لا يعول عليها تاريخيا وذلك لأنَّ طابع الخرافة والأسطورة هي الغالبة عليها

، وذلك وفقا لثقافته – الرحالة - وتحليله لما شاهده أو تفسيره لسلوكيات ا لتي رآها أو سمعها في رحلته.

أسهمت تلك الرحلات في تفسير سلوكيات القبائل المغولية وطقوسها من خلال وصف معتقداتهم وتصوراتهم لطبيعة القوى المؤثرة في نفوسهم ونظرتهم للحياة والموت فضلاً عن مسح خصائص تلك الشعوب من ثقافات وعادات وتقاليد والمطعم والمشرب والملبس والمعاملات اليومية والممارسات الدينية، لذا حفظت لنا الطقوس التي كان يؤديها المغول قبل الموت وبعده وبذلك كانت مادة دسمة للباحثين المتحرين عن الأوضاع الاجتماعية لشعوب تلك الأصقاع المجهولة في العصور الوسطى .

المقدمة

شغل الموت تفكير الإنسان وكان هاجسه الأول منذ القدم، فكان أكثر شيءً أخافه على سطح المعمورة فحاول إيجاد تفسيراً له أو طريقة تجنبه من الوقوع في قبضة الموت الذي لم يعرف تفاصيل حدوثه. وإن نظرة الإنسان للموت لم تختلف منذ أقدم العصور وحتى أحدثها وطريقة تعاملها مع جثة الميت من حيث طقوس وطرق الدفن. وان اختلفت شكليا إلا إنها تشابهت بالمضمون، والاعتقاد بمغادرة الروح للجسد لأجل الحساب – بطريقة أو بأخرى – لتستقر في عالم الثواب والعقاب.

أن طقوس وممارسات القبائل الرعوية – والتي كانت يشاطر بعضهم البعض حياة واحدة ومناخا واحد و تجمع بينهم وشائج الدم والعرق حتى اجمع الرحالة في مختلف العصور على وصفهم وصفا مماثلا – في التعامل مع الموتى ضلت مجهولة للعالم في العصور الوسطى إلا ما ندر ،وما لدينا من معلومات هي مستقاة من مذكرات بعض الرحالة المسيحيين الذين وطأت أقدامهم ارض المغول – لأسباب دينية وسياسية – بعد أن علا شأن المغول وخروجهم من بؤرتهم – منغوليا – وسيطرتهم على أراضٍ شاسعة – إسلامية ومسيحية - منذ بداية القرن ١٣ م / ٧

هـ تضافرت جهود البعثات المسيحية – النسطورية و اللاتينية – للأسباب المشار إليها انفاً .

إن الغرب الأوربي لم يتعرف على شعوب آسيا الوسطى ولم يبدأ في فحص مضامينها الثقافية فحصا عميقا إلا عن طريق الرحلات البابوية من أمثال رحلة القس جون بلانو كاربيني ووليم اوف روبروك وفريار اودوريك ورحلة ماركو بولو والتي قدمت وصفا قيما لرحلاتهم عن الأوضاع التي كانت سائدة في المجتمع المغولي عامة والبلاط خاصة وان كانت معلومات بعض أولئك الرحالة لا يعول عليها تاريخيا وذلك لسيطرة طابع الخرافة والأسطورة عليها ،وذلك وفقا لثقافة الرحالة وتحليله لما شاهده و تفسيره لسلوكياتهم سواء التي رآها أو سمعها في رحلته أو فيما إذا كانت تلك الأساطير من أدبيات تلك الشعوب - أسيا الوسطى عامة والمغول خاصة - ألا أنها وجدت في ثقافة الرحالة بمساحات اختلفت من رحال إلى أخر.

إن تلك الرحلات البابوية أسهمت في تفسير سلوكيات القبائل المغولية وطقوسها من خلال وصف معتقداتهم وتصوراتهم لطبيعة القوى المؤثرة في نفوسهم ونظرتهم للحياة والموت و كذلك مسح لخصائص تلك الشعوب من ثقافات من حيث العادات والتقاليد والمأكل والمشرب والملبس والمعاملات اليومية والممارسات الدينية، لذا حفظت لنا تلك الرحلات الطقوس التي كان يؤديها المغول قبل الموت وبعده فكانت مادة دسمة للباحثين الذين يتحرَون عن الأوضاع الاجتماعية لشعوب تلك الأصقاع المجهولة في العصور الوسطى .

ولفهم حيثيات الموضوع آثرنا أن يكون عنوان البحث على الشكل التالي ((الطقوس الجنائزية عند المغول من خلال الرحلات البابوية رحلة جون بلانو كاربيني (١٢٤٥-١٢٤٧م) أنموذجاً)) . تم تقسيم البحث على ثلاثة محاور وعلى النحو الآتي :

المحور الأول : رحلة جون بلانو كاربيني إلى المغول دوافعها ونتائجها

المحور الثاني :معتقدات المغول ومفهوم الحياة والموت .

المحور الثالث : مراسم دفن الموتى و طقوس ما بعد الموت عند المغول .

يأمل الباحث أن يحقق البحث الفائدة المرجوة منه يقدم خدمة للمهتمين بتاريخ تلك الشعوب ويفتح الأفاق لدراسات أكثر عمقاً في تاريخ الفكر الديني و الاجتماعي لتلك الشعوب والله ولي التوفيق .

المحور الأول : رحلة جون دي بلانو كاربيني إلى المغول دوافعها ونتائجها

كانت مؤلفات الإغريق ونصوص الكتاب المقدس- مثل روايات سفر التكوين عن الجنة في الناحية الشرقية من العالم ، وتقسيم الأرض بين أبناء نبي الله نوح (عليه السلام) ووجود قبائل يأجوج و مأجوج *- هي المصدر الرئيس لفكر أوربا في العصور الوسطى عن الشرق الأسيوي [١] ، فضلا عن الأساطير التي تتحدث عن وجود رفات بعض القديسين -كالقديس توما *- أو وجود ملوك مسيحيين أسطوريين كأسطورة القديس أو الكاهن يوحنا برسي جون [٢].

حفزت تلك الأساطير الغرب الأوربي عامة والبابوية خاصة من أجل إتمام مهام أولئك القديسين أو إمكانية التحالف مع ذلك الملك المسيحي المفترض وجوده ضد العالم الإسلامي في الوقت الذي كانت فيه الحملات الصليبية قد أصابها الفشل و الممالك الصليبية في المشرق الإسلامي بدأت بالأفول التدريجي [٣] والذي تزامن مع نجاح المغول في سبر غور المناطق المسيحية في أوربا الشرقية بعد هزيمتهم الروس في معركة كالكا Kalka (٦٢٠هـ / ١٢٢٢م) * ، إلا أنَّ البداية الحقيقة للسيطرة على تلك المناطق كانت حين شمر أبناء جوتشي خان Jochi (٦١٨-٦٢٤هـ/ ١٢٢٠-١٢٢٦م) عن سواعدهم للسيطرة على المنطقة التي خصصها العرف المغولي لهم والتي كانت تضم المناطق الواقعة ما بين حدود نهر ارتش وجبال آلتاي ، فنجحوا في المرحلة من (٦٣٥ - ٦٣٨هـ / ١٢٣٧م - ١٢٤٠م) من احتلال جميع مناطق شمال جبال الاورال ووصلوا إلى قلب أوربا -بعد أن هزموا

قوى البلغار والمجر وإمارات دول المدن الروسية في أعالي الفولغا- وصولا إلى البحر الادرياتكي والتخوم الألمانية (٤).

أثارت الهجمات المغولية الرعب عند المسيحيين، إلا انه في الوقت نفسه جذبت نظر الكنيسة البابوية خاصة والقوى المسيحية المتحمسة للصليبية عامة إلى قوة المغول -التي أضحت قوة عظمى على مسرح الإحداث العالمي في بدايات القرن ٧هـ/١٣م - فاتجهت الأنظار إليهم للاستفادة منهم في صراعها مع الإسلام، خاصة بعد أن فشلت جهود الكنيسة في مشروعها الصليبي وظهور تيار في الكنيسة البابوية اخذ يعمل على التنسيق بين الأساليب التبشيرية والحروب الصليبية، عن طريق تكثيف النشاط التبشيري لا سيما وان المسيحية قد عرفت من قبل في منغوليا من خلال النشاط النسطوري المسيحيي في ربوع آسيا ، فان هذا العنصر المكتسب- المغول- سيكف عن مهاجمة أوربا المسيحية على اعتبار أن الدين المسيحي يمنعهم من ذلك وبذلك يحول حكام المغول أنظارهم تجاه الاقاليم الإسلامية وبذلك تحقق البابوية هدفها في نشر المسيحية في العالم وبذلك ينجح الراهب فيما فشل فيه الفارس الصليبي (٥).

بقي إمكانية التحالف بين المغول والمسيحية يشكل رغبة آسرة لدى البابوية ،وأصبح حلماً يتأرجح في مخلية باباواتها فيما بعد، فالمغول الذين تمكنوا من غزو قلب أوربا،سرعان ما توقفت حملاتهم عام ١٢٤١ م/ ٦٣٩هـ نتيجة لتطورات الأوضاع السياسة في خانية المغول العظمى والمتزامنة مع توقف حملاتهم المدمرة في شرق أوربا التي تنفست الصعداء (٦).

شيئا فشيئاً عادت تلك الأحلام تراود زعماء البابوية في استغلال تلك القوة الجديدة في تحقيق حلمهم- باستعادة بيت المقدس بعد أن أخذت أمالهم في استعادته تتلاشى- ولتحقيق هذا الغرض نشطت البابوية وملوك أوربا في إرسال البعثات والرسل إلى قراقورم عاصمة امبراطورية المغول العظمى، والذي تزامن مع وصول تقارير الراهبان الفرنسكانين*- المتواجدين في أوربا الشرقية - إلى البابا

جريجوري التاسع Gregory IX (١٢٢٧-١٢٤١ م / ٦٢٤- ٦٣٩ هـ) عن قوة المغول وإعمالهم التخريبية و سياستهم التوسعية ورغبتهم في السيطرة على العالم وتجاهلهم لأية قوة عالمية مهما كان نوعها، فناشدوا البابا للتحرك بسرعة لاستغلال هذه الطاقة المتدفقة لصالح العالم المسيحي في الوقت الذي فشل فيه البابا من حث ملوك وأمراء أوربا للقيام بحملة صليبية ضد المغول (٧).

أولى السفارات البابوية التي أرسلت إلى بلاد المغول كانت من قبل البابا انوست الرابع Innocent IV ١٢٤٣-١٢٥٤م/٦٤١-٦٥٢هـ حينما أختار لهذه المهمة احد رفاق مؤسس طائفة الفرَنْسِسكان- القس جون بلانو كاربيني* – والذي كان له دوراً كبيراً في انتشار هذه الطائفة في أوربا فرحلته الأولى كانت مهمة دبلوماسية في روسيا إذ أرسله إنوسِنت الرابع للسعي من أجل إقناع الكنيسة الروسية بالاعتراف بالقيادة البابوية وصولاً إلى تشكيل - تكتل كاثوليكي معاد للمغول ، ا حاول البابا استغلال مأساة الخطر المغولي على أوربا الشرقية لإقناع أمراء الروس في الانضواء تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية ليشملهم بركات البابا المقدس ، لكن الأمير الروسي دانيال الأول **Daniel I of Galicia** - الذي شهده موقعة كلكا- لم يكن من السذاجة لكي يعتمد على بركات الرسولية للبابا انسوت الرابع في مواجهة المغول ،فكانت مثل تلك المسألة تثير حساسيتهم بشدة، لأن قسماً من أراضيهم الممتدة بين نهري الفولغا و الدنيبر بات جزءاً من الإمبراطورية المغولية (٨).

بدأت رحلة جون بلانو كاربيني في مارس من عام ١٢٤٥ م/٦٤٣ هـ من مدينة ليون الفرنسية- مقر البابوية في ذلك الوقت ومكان المجمع البابوي- ، حتى وصلت إلى مقاطعة بوهيميا* لاستشارة ملكها عن المسالك الآمنة للوصول إلى أوردو الخان المغولي فنصحهم بالتوجه عن طريق بولونيا حيث انظم إليه رفيقيه في الرحلة ،حيث قدم لهم دوق سيلسيا (Duke Boleslav of Silesia) الهدايا لتقديمها للمغول وأرسل معهم وفد لمرافقتهم إلى كونراد دوق لانسيسيا (Duke

.Conrad of Lanciscia) والذي قدم للبعثة البابوية معلومات قيمة عن المسالك الآمنة إلى الارود المغولي ، دخلت البعثة الأراضي الروسية مدينة كييف فوصلتها في فبراير من سنة ٦٦٥هـ/١٢٤٦ م ومنها أخذت البعثة طريقها إلى مخيم باتو خان (Batu khan)(١٢٢٦-١٢٥٦م/٦٢٤-٦٥٣هـ) فاعترضهم احد قادة المغول كورنزا Corenza والذي استفسر عن سبب قدومهم إلى مقر باتو خان [٩]

وصلت البعثة البابوية إلى مقر باتو خان حيث نصب لهم خيمة بعيدة عن المقر وسلمت لباتو خان رسائل البابا بعد أن ترجمت وبدوره أرسلها إلى الاوردوا العظيم فرحل الراهب جون البلانو كاربيني عبر جبال آلتاي، متجهاً نحو قره قُرُوم، فتزامن وصوله مع أيام انعقاد القوورلتاي (في شهر آب من عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) . فالجمع الكبير لأمراء المغول الملتئمين لانتخاب كيويك خاناً، خلفاً لأبيه أوكِداي خان (Ogdai khan)(ت ١٢٤١ م/٦٣٩هـ)، وجرت استضافة المغول والسفراء في مدينة خيام كبيرة أُقيمت للمناسبة، فكانت سفارة جون بلانو كاربيني شاهدة على تنصيب " كيوك خان " في ٢٤ اب ١٢٤٦ ، وشاهدا على وفود الدول الساعية للحصول على رضى المغول عنهم [١٠].

لقيت البعثة البابوية ترحيباً كبيراً من الخان الجديد لما عرف عنه عطفه على المسيحيين بتأثير أمه توراكنه خاتون Töregene Khatun * (٦٣٩-٦٤٤هـ/ ١٢٤١-١٢٤٦م) ونظراً لكثرة عدد مستشاريه المسيحيين حتى أن ابن العبري ذكر **" ...حتى صارت الدولة مسحية..."**[١١]، مما حدا برجال البعثة البابوية على الاعتقاد بان كيوك خان مقبل على اعتناق المسحية خاصة بعد أن قام ببناء كنيسة صغيرة تقام فيها الشعائر المسيحية ، إلا أن البعثة البابوية صدمت بالنهاية حينما رفض الخان اعتناق المسيحية وطلب من جون دي بلانو كاربيني إبلاغ البابا الاعتراف بسيادة المغول على الأرض وعليه- البابا- أن يقدم فروض الطاعة والولاء للخان [١٢].

وعلى الرغم من أن كيوك خان صرف الراهب الفْرَنْسِسكاني بعد إعطائه رسالة سلبية موجهة إلى البابا ، ومع أن سفارة جون بلانو كاربيني لم تحقق هدفها المنشود- دينيا و سياسيا - ، إلا انه من جانب أخر تركت لنا وصفا دقيقا عن الأماكن والبلاد التي مر بها في طريقه وما لحق بها من خراب ، فقد قدم لنا كثيراً من الإيضاحات عن تقاليد وعادات المغول وطعامهم وشرابهم وأحوالهم الاجتماعية في ما يخص الزواج والوفاة وما يتبعها من طقوس ما بعد الموت .ما لبث أن تمت تغطيته بإيجاز مثير، تمثل بوصفه التفصيلي للحياة والعادات المغولية ، تصدرت أعمال جون دي بلانو كاربيني بقية أعمال الفرنسيسكان والذي حمل تكليفا بابويا بالتوجه إلى بلاد المغول ليصف تقاليدهم وعاداتهم بقصد إنجاح عمليات التنصير فيما بعد حيث اكتسبت يوميات رحلته الطويلة شهرة عالمية وأمدتنا بالكثير من الحقائق والمعلومات عن تلك المرحلة التاريخية وقد نجح كاربيني في تقديم أقدم وصف دقيق للأوربيين عن أسيا الوسطى والشرقية وشعوبهما [١٣].ولقد لخص احد الباحثين أهداف البعثة [١٤] بـ :

١. دعوة المغول لاعتناق المسيحية
٢. التساؤل عن سبب المذابح التي اقترفوها ضد المسيحيين
٣. جمع المعلومات عن أهداف المغول المستقبلية وطلب هذه المعلومات من قادة المغول شخصيا أو عن طريق شخص السفير

المحور الثاني معتقدات المغول ومفهوم الحياة والموت

أدى تأثر شعوب آسيا الوسطى ببيئتها الجغرافية ونمط حياتها الرعوية والبدوية و ارتباطها بالطبيعة والخوف من بعض مظاهرها إلى أن يجعل منها أسيرة بعض المعتقدات والآراء السائدة التي كانت أساسا في تكوينهم وتكوين ذهنيتهم والتي أصبحت مع مرور الزمن معتقدا تدين به تلك الشعوب . إذ إن الظروف البيئية

والجغرافية تؤدي دورا أساسيا في التأثير على نمط الحياة والسلوكيات والتقاليد والعادات والنفسيات .

إلا إن هذا الاعتقاد عند القبائل الرعوية وتطور المفهوم الديني لديها اعتمد على طبيعة حياة تلك القبائل وبعدها وقربها عن المراكز الحضارية، فاختلفت المعتقدات الدينية للقبائل المغولية الرئيسة ما بين ديانات وضعية – بوذية وشامنية - أو سماوية –كالمسيحية النسطورية - حيث لم يصمد المغول أمام القوى الدينية المندفعة خلفهم ، إذا كان إلحادهم محكوما عليه بالزوال من خلال الاتصال بعقائد أعلى من مستوى إدراكهم التي لم يعرفوا عنها قبل فتوحات جنكيزخان إلا النزر اليسير إذ إن الديانة الشامنية كانت المعتقد البارز في منغوليا [١٥] .

الاعتقاد الشاماني من المعتقدات الماورائية التي ترى بان العالم مأهول بالأرواح الشريرة والخيرة (عالم الخير والشر) ولأجل إيجاد مسألة التوازن بين قوى الإنسان الذاتية الداخلية والقوى الخارجية الروحية (الشريرة والخيرة) المحيطة به أسندت مسالة تطويعها لخدمتهم جلبا لنفعها وتفاديا لشرورها وانتقامها إلى مجموعة من رجال الدين أو الكهنة والذين عرفوا بالشامان [١٦] .

أضحى الشامان هو الروح الناصح والمرشد للقبيلة وأفرادها مما مكنه من ارتقاء مكانه رفيعة بين قاطني الخيام في آسيا الوسطى عامة و المغول خاصة أن جعل منه محط خشية واحترام في الوقت نفسه قد تفوق خشيتهم واحترام الخان مما أدى إلى اصطدام نفوذه مع سلطات الخان في بعض الأحيان، فعلى الرغم مما قدمه الشامان مونغلك (monglik) لجنكيزخان من خدمات جليلة، في إنقاذ حياته في صغره و دعمه في إعلان إمبراطوريته، إلا أن جنكيزخان لم يتورع في الأمر بقتل ابنه (تيب - تينغري :Teb-tengri) بعد أن لاحظ ازدياد نفوذه وسلطته بين قبائل المغول [١٧].

أضحى الشامان صاحب السلطة العليا في إقليم السهوب- بعد غياب السلطة السياسية -إذ كان وجوده بين القبائل الرعوية (التركية والمغولية) ضرورة ملحة

لعلاج جميع مظاهر الشرور من جهة أو للتخلص أو ترويض الأرواح والشياطين المتلبسة في بعض شخصيات المجتمع القبلي الرعوي ، ومن جهة أخرى، أصبح الخان في السهوب يعتمد على تأييد الشامان والذي يستوجب عليه أن يؤدي دور الوسيط بين الخان والإله (التنغري) ، فأصبح منصب الشامان على غاية من الأهمية في القبيلة المغولية [١٨].

امن المغول بوجود اله – تنغري – يتربع فوق السماء الزرقاء، وهو خالق لكل الأشياء المحسوسة وغير المحسوسة وهو واهب الحياة والموت لهم و **"... نحن المغول نعتقد بأنه لا يوجد إلا إله واحد عن طريقه نعيش وعن طريقه نموت..."** [١٩].

ألا إن هذا الاعتقاد لم يمنعهم من اتخاذ أصنام وأوثان وأشكال مجسدة في صور مختلفة – آدميين وحيوانات - مصنوعة من اللباد او ما توفر من المواد واضعيها إمام خيامهم لغرض منحهم الأمان وحراسة مواشيهم- العمود الفقري - لاقتصاد الأسرة المغولية كما رآه الرحالة الذين وطأت أقدامهم ارض المغول " ..... **أنهم يقومون بصنع أصنام على هيئة رجال من جلود الحيوانات و يضعونها على طرفي باب الخيمة، كما يقومون بتصنيع اللباد على شكل أضرع و يضعونها أسفل الماشية، معتقدين بأنها ستحمي الماشية و أنها المسؤولة عن ألبانها و نسلها. كما يقوم التتار بتصنيع نوع آخر من التماثيل من خرق الحرير ، و تكرّم هذه الأخيرة أيما تكريم. حيث يضعونها على العربات جميلة السقف الموضوعة أمام باب المنزل، و مهما كانت مكانة الشخص الذي يسرق من العربة فإنه يقتل بلا رحمة..."** [٢٠].

كذلك كانت معتقداتهم الدينية تقوم على تقديس أرواح أجدادهم وتمثل أفعالهم الطيبة أثناء حياتهم، فلدى كل عائلة وثن أو تمثال يمثل أرواح أجدادهم مزين بالملبوسات والزخارف ومثبت في زاوية مرئية من باحة الخيمة أو تعلق فوق موضع سيد البيت بغية تقديم القرابين والهدايا بعد القيام بطقوس الركوع والسجود من

وقت لأخر ويرى المغول في ذلك أحياء لذكرى أولئك المتوفين **"... إننا لا نصنع هذه المجسمات للرب ولكن حين يموت رجل غني منا ، فان أبنائه أو زوجته أو أي شخص من أقربائه يصنع له تمثالا على هيئة ذلك الرجل المتوفى ويضعها هنا لذلك نحن نجلها إحياءً لذكراه فقط .."** (٢١)

إلا أن هذا التقديس لم يقتصر على الأسلاف فقط ، فنلاحظهم يقدسون أسرة جنكيز خان على اعتبار انه خان سماوي ومنفذ لإرادة الآلهة على الأرض وعلى حد ما ذكره جون بلانو **"...التتاريون صنعوا تماثيل للخان الأعظم الأول حيث أنها توضع في عربة بمكان لائق و مشرف قبل أن تقدم على حاشية الخان الأعظم الحالي..."**، (٢٢) إن المعتقد المغولي فيما يبدو يحاكي ما موجود عند الصينين من اعتقاد في نظرتهم للإمبراطور على انه ابن السماء ، وعليه فان الخان هو ابن السماء حسب النموذج الصيني ، إن الملك هو مبعوث أو ممثل السماء - الإله (٢٣) واكد هذا الامر جون بلانو كاربيي حين سرد مقتل الامير الروسي ميخائيل تشيرنيكوف Michael of Chernigov (١١٨٥-١٢٤٦) * الوافد على باتو خان حينما طلب منه الركوع إلى الجنوب نحو جنكيزخان فادى رفضه الانصياع لأمره إلى فقدان حياته **" ...عندما جاء الأمير مايكل أحد أمراء روسيا ليقدّم إلى باتي(باتو خان) الولاء ، حاول التتاريون –أولا- جعل الأمير يعبر بين نارين. بعد ذلك قالوا للأمير: ينبغي أن تركع جنوبا نحو جنكيز خان، لكن الأمير أجاب : بأنه سيكون من دواعي سروره الركوع إلى باتي و حاشيته ولكن ليس لصورة رجل ميت ، لأن هذا الأمر غير لائق في الديانة المسيحية.....بعدها أمر باتي بقتل الأمير مايكل مادام مصرا على عدم الركوع. عندها الأمير أجاب أنه يفضل الموت على فعل أمر خاطئ..."** (٢٤).

لا يوجد في عقائد ما بعد الموت المغولية ثنائية الجنة والنار ولا ثنائية الثواب والعقاب في عالم ما بعد الموت حيث يتساوى الصالح والطالح حسب مكانة وموقع المتوفى في الحياة،فيذكر جون بلانو بهذا الخصوص **" ... إنهم لا يعرفون عن**

الآخرة الشيء الذي نعرفه ، ولا عن العذاب السرمدي بعد الموت ، وما يجري لهم في الحياة الآخرة ولكنهم يعتقدون بأنه بعد الممات ؛ سوف يعيش المرء منهم حياة ثانية في عالم ثان ، وان مواشيه وحيواناته سوف تتضاعف وتزيد أعدادها ، وانه سوف يأكل ويشرب ويقوم بجميع الإعمال التي يقوم بها في هذه الحياة الدنيا وانه سيكون له أسرة وسيصبح في مجتمع عالم آخر كما كان عليه في عالمه الأول أثناء حياته ..." (٢٥) بينما يرى ماركو بولو سعادة حياة الفرد المغولي مرهونة بعد الممات بما يقدمه من أعمال **"... أن المغول يعتقدون بان الروح خالدة بمعنى إنها بمجرد وفاة الرجل تدخل جسما أخر ، وتبعا لمسلك الفضيلة أو الشر الذي اتبعه أثناء حياته ستكون حياته المستقبلية باطراد أفضل أو أسوء .."** (٢٦).

وان الوجه الأخر للمعتقد المغولي في ما يخص حياة ما بعد الموت هو عقيدة الموت والخلود الطاوية ولكنْ مع استسلام الإنسان لحتمية الموت واعتقاده الراسخ بان الخلود للآلهة فقط ، فأننا نجد أن هناك تطلعات للنفس البشرية نحو الخلاص من شبح الموت . وقد بحث جنكيز خان في معتقد هذه الأفكار - الطاوية- والتي عرف عن كهنتها شغفهم بالبحث عن إكسير الحياة ومعرفة سرّ الخلود فأرسل إلى الكاهن الطاوي تشأن- تشؤن Chang- Chun الذي اشيع عليه أنه قد تجاوز عمره أكثر من ثلاثمائة عام (٢٧).

إلا أن الكاهن الطاوي تشأون تشؤون خيب أمل جنكيزخان في الحصول على أكسير الحياة وأكد لجنكيزخان حتمية وقدرية الموت وخسران الحياة الدائمة للبشر، وان الخلود يكمن في الزهد والاعتزال والغفران والتسامح مع الناس ويعد هذا الطريق الأسلم والأكمل في الوجود للبشرية للحصول على الخلود الأبدي ، ورغم ذلك فان جنكيزخان أكرمه وانعم عليه بلقب شين – هيسن shen- hsien أي القس الخالد (٢٨).

المحور الثالث : مراسم دفن الموتى وطقوس ما بعد الموت عند المغول .

إنَّ وجود الحياة في العالم الآخر كانت قضية جوهرية أقلقت الإنسان منذ أقدم العصور. إلا إن فكرة الخلود والموت والحياة الأخرى اختلفت من شعب لأخر من شعوب العالم حسب دياناتهم وثقافاتهم وبيئاتهم لذلك تعد مراسيم الدفن الإعلان عن انتقال الإنسان من الحياة الدنيا إلى حياة الآخرة، وطقوس الدفن تكفل راحة الميت، وتقي الأحياء شر الموتى- كل حسب اعتقاده - فيتخلص الناس من الميت إما بدفنه، أو بحرق جثته، أو بغير ذلك من الوسائل، وتعد الجثة إعداداً خاصاً عند دفنها.

شاهده الراهب جون بلانو كاربيني مراسيم دفن موتى المغول عن كثب ومما و ذكره بهذا الصدد **"... عندما يكون أحدهم عليلا على حافة الموت، فإن يتم نصب حربة بجوار خيمته و تلف الحربة بلباد أسود، و لا يحق لأحد دخول حدود المخيم. و عند ساعة الاحتضار الأخيرة ينسحب الجميع عنه فلا أحد يحضر وفاته حتى يحين ظهور القمر الجديد فيجيء القائد مع حشده أو أتباعه للمتوفى.."** (٢٩)

إنَّ اعتقاد المغول بحتمية موت الإنسان أدى إلى تعاملهم مع جسد الميت باحترام كبير - لأجل متابعة روحه بسلام - فكان هناك مجموعة من الطقوس المتبعة مع جسد المتوفى فبانتهاء احتضار الشخص ، حتى يبدأ المغول عملية الدفن آذ يقوموا بحفر حفرة تختلف في سعتها أو قطرها باختلاف مكانة المتوفى في المجتمع المغولي لاستيعاب ما يتم دفنه من الأشياء مع الشخص المتوفى وذكر جون بلانو بهذا الخصوص **" .... و إذا مات أحد من التتار، و كان من النبلاء فإنه يدفن سرا في أحد الحقول التي ترضي مكانته . أو أنه يدفن في وسط إحدى خيامه. و يضعون قبالته طاولة و فوقها طبقا من اللحم و وعاء من لبن الفرس . علاوة على ذلك يدفن معه فرس مع مهر ، و خيل مع اللجام و السرج ..."** (٣٠)

عادة تدفن مع الميت بعض المرفقات الجنائزية - تختلف باختلاف مكانة المتوفى - الهدف منها مساعدة الميت في رحلته الأخيرة، فأعطى جون بلانو تفسيرا

لدفن هذه الأشياء مع الشخص المتوفى بقوله **"... و بهذا سيكون في العالم الآخر لديه خيمة ليقيم فيها. أما الفرس ستكون مصدر للحليب و للتكاثر مع الخيل التي قد تستخدم لعملية الركوب أثناء تنقلاته في العالم الآخر..."** (٣١)

أسهب جون بلانو في وصف مختلف طرق الدفن عند المغول حين ذكر أنَ "... **هناك طريقة أخرى لدفن بعض الرجال العظماء منهم، يذهبون لمكان دفن المتوفى و يسحبون النباتات من جذورها و يقومون بصنع حفرة كبيرة بجوار حفرته تحت الأرض و يضعون عبدا – رقا- والذي قد اختاروه مسبقا ليكون تحته في الحفرة. و يرقد هناك في الحفرة طويلا حتى يشعر بأنه سوف يموت، ثم يقومون بإخراجه حتى يستطيع التنفس و يعيدون هذه الفعلة ثلاث مرات . وإذا ظل على قيد الحياة بعدها ينال حريته و يفعل ما يشاء و يصبح من المهمين في المخيم و بين أقربائه. يدفن الرجل المتوفى في حفرة بجانب الحفرة الأخرى التي توضع فيها الأشياء الأخرى التي تحدثنا عنها سابقا..."** (٣٢) .

وفضلا عن ذلك أكد جون بلانو كاربيني على سرية دفن خانات المغول **"... يقوم التتاريون بملء الحفرة التي قبالة قبره و يضعون فوقه الشجيرات كما كانت من قبل و هذه الحادثة لا تروى لأي أحد آخر فتظل سراً..."** إلا إن ذلك لم يمنعه من معرفة موقع دفن الخان اوكداي Ogdai ت ١٢٤١ م/٦٣٩هـ وعلى حد ما ذكره بهذا الخصوص **"... و لقد رأينا شجيرات و أحراش بجوار مكان الدفن حيث أن الخان اوجداي والد الخان الحالي أمر بزراعتها لروحه..."** (٣٣) وهذا يفند ما أشيع عن سرية القبور أو سرية دفن خانات المغول وما حدث لبعض الخانات هي حالات استثنائية فرضتها الظروف السياسية التي رافقت موت الخان ،إذ حرص المغول على كتمان خبر وفاة خاقاناتهم في حال أدركته الوفاة خارج منغوليا ليتسنى لهم نقل الجثمان من مكان الوفاة إلى العاصمة تمهيدا لدفنه وخشية أن يقع الجثمان في أيدي أعدائهم هذا من جهة ومن جهة أخرى لكسب الوقت لاتخاذ الاحتياطات لمواجهة ما يترتب على إعلان خبر وفاة الخاقان رسميا سواء كان من الشعوب

الخاضعة لهم أو من أمراء الأسرة المغولية خشية التمرد فوفاة جنكيزخان ودفنه حتمت الظروف السياسية والعسكرية على المغول سرية دفنه لان جنكيزخان كان في أواخر أيام حياته في حملة ضد مملكة التانكوت Tangut وحين شعر بدنو اجله أمر أبنائه وكبار قادته كتمان خبر وفاته حتى لا ينتهز إمبراطور التانكوت لي - هسين Li Hisin ٦٢٣-٦٢٤هـ١٢٢٦-١٢٢٧ م الأمر ويعلن تمرده وعصيانه والذي كان قاب قوسين أو ادني من الاستسلام وأكد **البنكاتي هذا الأمر "...أوصى القواد قائلا: لا تعلنوا موتى حتى لا يعلم العدو بذلك، وعند ما يأتي ملك، وأهل تنكقوت اقتلوهم جميعا...**" [٣٤] وعن كتمان خبر وفاة الخاقان كيوك ٦٤٧هـ/١٢٤٩ م في ناحية أيميل emil فهو ناتج عن خشية وصول الخبر إلى باتو خان بعد أن عزم كيوك خان على قتاله فلجأ المغول إلى كتمان خبر وفاته ولكي يحافظوا على هذا الكتمان ذكر رشيد الدين بأنه بعد وفاة كيوك "... **سدت الطرق وصدر قانون يقضي بان ينزل كل شخص مسافر في الموضع الذي يكون قد وصل إليه عامرا كان ام خرابا...**" [٣٥]وينطبق الحال على كتمان خبر وفاة مونكو خان Möngke khan (٦٤٩-٦٥٥هـ/ ١٢٥١-١٢٥٧م) والذي توفي أثناء حصاره لإحدى القلاع في الصين ، فكتم الأخ الأصغر قوبلاي خان Qubilai Khan (٦٥٨-٦٩٣هـ/ ١٢٦٠-١٢٩٤م) خبر وفاة منكوخان ليعلن نفسه خاقانا بدلا من أخيه الأخر اريق بوقا Ariq Boke (٦٥٥-٦٥٨هـ/ ١٢٥٧- ١٢٦٠ م) في منغوليا ، معتمد على تأييد قادة الجيش له [٣٦].

كذلك ميز جون بلانو كاربيني بين مقابر العامة ومقابر الأسرة الحاكمة ومما جاء في وصفه **"... في بلاد التتار هناك نوعان من المقابر، واحدة للخانات والأمراء وجميع النبلاء يدفنون هناك، بغض النظر عن مكان وفاتهم، إذا أمكن جلب رفاتهم من مكان موتهم ..."** وفي هذه المقابر يتم دفن الكثير من الذهب والفضة، إما النوع الأخر من المقابر فهي لقتلى جنود المغول في أوربا الشرقية " .. **المقبرة الأخرى هي للرجال الذين قتلوا في المجر- هنغاريا- حيث قتل العديد هناك...**" [٣٧]

وهذه المقابر تدخل ضمن مقابر عامة المغول . بينما يرى بويل أن تمييز جون بلانو كاربيني بين تلك المقابر اعتمد على ما موجود من جلود الأحصنة المذبوحة كقرابين على تلك القبور [٣٨].

كانت للمغول تعاليم صارمة في حماية مقابرهم فكان يعاقب كل من يجرأ على الاقتراب منها، حتى إن الراهب جون بلانو كاد أن يفقد حياته حين اقترب بالخطأ من إحدى المقابر ولم يغفر له إلا بعد أن عرفوا أنهم غرباء ولا معرفة لهم بالاومر الخانية ومما جاء في سرده **"...لا أحد يجرؤ من الاقتراب نحو هذه المقبرة باستثناء الحراس الذين هم منتشرين هناك لمشاهدة أي شخص يدخل المقبرة و من يفعل فإنه يجرد من ملابسه و يضرب و يعامل معاملة سيئة. . في الواقع نحن أنفسنا دخلنا بدون معرفة مسبقة المقبرة التي يدفن فيها الأشخاص الذين قتلوا في هنغاريا، وجاء الحراس إلينا يريدون إطلاق السهام علينا. و لأننا سفراء و لا نعرف عاداتهم جيدا فقد أخلوا عنا و تركونا نذهب ..."** [٣٩].

رافقت عملية دفن الموتى مجموعة من الطقوس التي شاهدها بلانو كاربيني وتحدث عنها بالتفصيل ففي إثناء حديثه عمّا يتم دفنه من مقتنيات وأشياء مع المتوفى ، يذكر بان المغول يقدمون على التضحية بعدد من الخيول ومن ثم أكل لحومها وحرق عظامها ويحشى جلد تلك الخيول بالقش وتثبت على القبر **" أما الأحياء منهم فيقومون بأكل خيل آخر و أما الجلد فيوضع عليه القش ثم ينصب على اثنين أو أربعة أعمدة عالية..... . ويقومون بحرق عظام الخيل الذي أكلوها لروحه، وغالبا ما تأتي النساء لحرق العظام لأرواح الرجال كما رأينا بأعيننا، وقال آخرون لنا نفس الشيء..."** [٤٠]. ويبدو هذا الأمر من المشتركات لسكان السهوب فنلاحظ ان الرحالة المسلم ابن فضلان يذكر نفس هذه الطقوس عند قبائل الرعوية **"...وإذا مات أحدهم يضعونه بحفرة ويسقفونها عليه ، ويأتون ببعض الدواب ويذبحونها ويأكلون جزءاً منها ويتركون ما يزيد منها للميّت ويقولون أنّها دوابه يركبها إلى الجنّة . وبعد ذلك ينحتون على قطع من خشب أشكالاً لأناس كان الميّت قد قتلهم**

وتقديراً لشجاعته يتركون هذه المنحوتات حول قبره ويقولون هؤلاء غلمانه يخدمونه في الجنّة..." [٤١].

إلا إن ما يؤخذ على جون بلانو كاربيني إغفاله لمسالة تقديم الأضاحي البشرية التي كان يقوم المغول بها خلال عملية الدفن او ما بعد الدفن ،وسبب ذلك إذا انه كان شاهد على دفن العامة من المغول ، ولم يزامن وقت وفاة احد خانات المغول أو كان شاهدا على دفنه ، بينما المصادر الإسلامية ذكرت ما يقدمه المغول من أضاحي بشرية أثناء عملية دفن خانات المغول او بعدها فيذكر الجوزجاني بهذا الخصوص **"...ويدفنون معه كل ما كان خاصا به، كما يدفنون معه في ذلك المكان بعض النساء والعبيد واعز الأشخاص لديه ..."** [٤٢] بينما رشيد الدين يورد رواية عن أضاحي طقوس ما بعد الموت حين ضحى اوكتاي على قبر جنكيزخان حين اعتلى عرش الخاقانية المغولية **".... ثم اختار أربعين فتاة حسناء من نسل الأمراء الذين كانوا يلازمونه وألبسوهن ملابس ثمينة ، وزينوهن بالمرصعات والجواهر وأرسلوهن على جياد أصيلة إلى روح جنكيزخان .."** [٤٣] فضلاً عن ذلك إن تلك الطقوس اختلفت من خاقان إلى أخر

و نوه - جون بلانو - كذلك إلى حرمة التعامل مع ذوي المتوفى وأقربائه ما لم يتم تطهيرهم بالنار حسب العرف المغولي فعن هذا الأمر يذكر **"... يجب تطهير من بقي من الأقارب داخل المخيم بالنار. و يتم التطهير عبر هذه الآلية: يشعلون نارين متقابلتين، يُركز بالقرب منهما رمحين ثم يوضع خط إرشادي و يصلون بين الرماح بشريط من قماش الباكرام القاسي ثم بين هاتين النارين يمر الناس و الحيوانات و الخيام. و هناك امرأتين تقفان بعكس بعضهما و يقمن برش الماء و يرددن بعض الأغاني المعينة . و إذا كانت العربة مكسورة أو شيء سوف يسقط فإنهم يجعلون السحرة يقومون بحفظها من التلف... "** [٤٤]، ولا يسمح باستخدام أي شيء من مقتنيات المتوفى أو أهل بيته ما لم يتم تطهيره بهذه الطريقة **"....كذلك إذا قتل شخص عن طريق البرق فإن جميع من يعيش معه في المنزل**

يجب أن يمر بين هاتين النارين و بنفس الطريقة التي تمم ذكرها آنفا. كذلك ، الخيمة و السرير و العربة و اللباد و الملابس وأي شيء كان بحوزته و يملكه ليس مسموحا لأي شخص لمسهم حيث تعامل على أنها أشياء نجسة و يجب تطهيرها ..."[٤٥] بلى يتعدى الحضر حتى على اسم المتوفى **"... لا احد يجرؤ ان يذكر اسمه (أي المتوفي) حتى الجيل الثالث ...."** [٤٦] ويبدو أن هذا الأمر مبالغ فيه أذ سبق لصاحب الرحلة أن ذكر كيف طلب باتو خان من الأمير ميخائيل السجود لصورة جنكيزخان .ومن المؤكد تم ذكر اسم جنكيزخان خلال الحوار ما بين باتوخان والأمير ميخائيل او ذكره لقبر الخان اوكداي . ولكن يمكن ان يكون عدم تسمية احد باسم الشخص المتوفى حتى الجيل الثالث هو الأصح ، ويلاحظ هذا الأمر هو عدم تكرار أسماء خانات المغول بين الأسر المغولية الحاكمة .

الخاتمة

خلص بحث الطقوس الجنائزية عند المغول :من خلال الرحلات البابوية جون دي بلانو كاربيني (١٢٤٥-١٢٤٧م) أنموذجا الى مجموعة من النقاط نحددها بالآتي :

على الرغم من ان الرحلة فشلت في تحقيق أهدافها الدينية والسياسية إلا أنها نجحت وأسهمت في تفسير سلوكيات وطقوس تلك القبائل من خلال وصف معتقداتهم وتصوراتهم لطبيعة القوى المؤثرة في نفوسهم ونظرتهم للحياة والموت وبذلك أعطت دافعا للبابوية في الاستمرار في إرسال البعوث إلى المغول لأجل تحقيق مأربها.

تركت لنا رحلة جون بلانو كاربيني وصفا دقيقا عن الأماكن والبلاد التي مر بها في طريقه وما لحق بها من خراب ، وقدم لنا وكثير من الإيضاحات عن تقاليد وعادات المغول من حيث طعامهم وشرابهم وأحوالهم الاجتماعية في خاصة الزواج والوفاة وما يتبعهما من طقوس ما بعد الموت .

كانت المعلومات التي قدمها جون بلانو كاربيني أقدم وصف دقيق للأوربيين عن آسيا الوسطى والشرقية وشعوبهما ، بعد أن كانت الأساطير والخرافات هي المصدر الأساس عن الشعوب الآسيوية.

نجح جون بلانو كاربيني في نقل وصف حقيقي لطقوس المغول الجنائزية قبل تاثرها بالحضارات المجاورة ، كذلك اعطى تفسير لما يقدم عليه المغول من القيام ببعض تلك الطقوس سواء كان إثناء عملية الدفن او ما بعد الدفن .وكذلك ميز جون بلانو كاربيني ما بين انواع المقابر في منغوليا

الهوامش والمصادر

* يأجوج ومأجوج أو جوج وماجوج اسمان يظهران خاصة في الكتب والتقاليد الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية، بالإضافة إلى أعمال أدبية لاحقة. قد تأتي هاتان التسميتان في سياق نسبي كما في سفر التكوين، أو في أمور متعلقة بالاخرويات كما في سفر حزقيال والرؤية والقرآن. كما تتصف هاتان التسميتان بالغموض فتارة تأتي على هيئة أسماء لأشخاص أو شعوب، وتارة أخرى كتسمية لمنطقة جغرافية. يرد الاسم"جوج" في سفر حزقيال على أنه إسم لملك يحكم على أرض تدعى "مأجوج" أو على شعب يدعى بهذا الاسم . وهو سيقوم بغزوة أرض إسرائيل قبل اليوم الأخير ، ولكنه يقتل هو وشعبه في مذبحة هائلة. اما في التفاسير الاسلامية لقد ذكر القرآن الكريم في سورتين اسم ـ يأجوج ومأجوج ـ ، وردت في المرة الأولى في الآيات التي نبحثها من سورة ـ الكهف ـ والثانية في سورة الأنبياء ، آية (٩٦) الآيات القرآنية تؤيد بوضوح ان هذين الاسمين هما لقبيلتين همجيتين كانتا تؤذيان سكان المناطق القريبة انه يستفاد من مجموع ما ذكر في التوراة ان مأجوج او يأجوج ومأجوج هم مجموعة او مجاميع كبيرة ، كانت تسكن اقصى نقطة من شمال آسيا ، وهم اناس محاربون يغيرون على الأماكن القريبة منهم ، وإنهم كانوا أمما حربية معروفة بالغازي والغارات

لمزيد من التفصيل عن هذه الاقوام ينظر

Erneri van Donzel and Andrea Schmidt Edited : Gog and Magog in Early Syriac and Islamic Sources (LEIDEN • BOS'T'ON , 2009) de rachwiltz : papal Envoys to the Great Khan : stanford University Press : California 1971 : p26

عادل اسماعيل محمد هلال : العلاقات بين المغول واروبا واثرها على العالم الاسلامي ،(القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية :١٩٩٧) ، ص ١٧.

* ويُدعى أيضا يهوذا توما ديديموس ومعنى اسمه توما باللغة الآرامية هو التوأم، هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر وقد ورد ذكره في قائمة أسماء الرسل في الأناجيل الإزائية (متى – مرقس – لوقا) وفي سفر أعمال الرسل ولم بحسب التقليد الكنسي فان توما الرسول وعظ الإنجيل في الرها بشمال شرق سورية ودفن فيها كما أنه بشر في بريثا وبلاد فارس وكان أول من بشر في الهند وهناك قتل على يد كهنة الأوثان بالرماح لذلك يصور في الأعمال الفنية وهو يحمل رمحا، يكن مسيحيو الهند احتراما كبيرا للقديس توما ويعتبرونه شفيع بلادهم وخاصة الهنود الذين يتبعون الكنيسة السريانية والذين يسمون أنفسهم بمسيحيي مار توما حيث أنهم يؤمنون بأن كنائسهم أسست من قبل توما الرسول مباشرة

لمزيد من التفصيل عن القديس توما ينظر

Stephen Andrew Missick: Mar Thoma: The Apostolic Foundation of the Assyrian Church and the Christians of St. Thomas in India: Journal of Assyrian Academic studies **Vol. XIV, No. 2, 2000 , pp 33-61.**

(٢) برسْتَر، جون. كان قسيسًا نصرانيًا وملكًا أسطوريًا. ومن المفترض أنه قد عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. وقد ادعى كثير من الرحالة في العصور الوسطى، بما في ذلك ماركو بولو أن جون برستر كانت له مملكة شاسعة في أواسط آسيا، أما في التقارير التي جاءت فيما بعد، وخصوصًا في تقارير المكتشفين البرتغاليين فقد وُصف بأنه إمبراطور إثيوبيا. عن هذه الشخصية ينظر

Igor de Rachewiltz : Prester John and Europe's Discovery of East Asia , THE CO TINUATION OF Papers on Far Eastern History, NUMBER 1 1 . JUNE 1 99 6 pp 60-74.

3- RAYMOND BEAZLEY, M.A.: THE DAWN OF MODERN GEOGRAPHY(LONDON : 1954) VOL, II , p 275

* **معركة كالكا** وهي المعركة التي حدثت بين القوات المتحالفة (اللان واللكز وقوة امير كييف الروسية) سنة ١٢٢٣م عند كالكا على نهر آزوف حيث دارت المعركة لعدة ايام ، افنى المغول اعداداً كبيرة منهم بسيوفهم، فلجأ المغول الى الخديعة مرة اخرى التي كانوا يتبعونها باستمرار في حروبهم بفتح ثغرة في صفوفهم لإيهام القوات الروسية بالتراجع، وعندما بدأت القوات الروسية في التدفق والإسراع في الهرب، رجعوا وانقضوا عليهم وأفنوا الكثيرين منهم واستباحوا مدنهم وعملوا فيها الخراب

عن هذه المعركة ينظر

James Chambers :The Devil’s Horsemen THE MONGOL INVASION OF EUROPE (Printed and bound in Great Britain by Morrison & Gibb Ltd, London and Edinburgh 1979) pp 28 -29 .

4- JANET MARTIN : MEDIEVAL RUSSIA 980–1584 Cambridge University Press 2007 , SECOND EDITION pp 155-156.

5- RAYMOND BEAZLEY : Ibid ,p 275 .

الباز العريني : المغول ، دار النهظة العربية (بيروت : ١٩٨٦) ، ص ١٨٧ .

(٦) هو وصول خبر وفاة اوكتاي في قواقورم في ١١ من كانون الأول سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م بعد موته أخذت التصدعات الخطيرة تطفو إلى السطح، واستمرت على هذا المنوال لمدة خمس سنوات، فقد تسلمت أرملة أوكتاي توراكينا خاتون، الحكم استطاعت توراكينا أن تحصل على دعم معظم الأرستقراطيين المغول لتأمين وصول جويوك، ابن أوقطاي، إلى سدة الحكم، إلا أن باتو اعتذر عن المجيئ إلى القوريلتاي ليدلي بصوته، زاعما أنه مريض، وأن مناخ منغوليا سيؤثر سلبا على صحته، فاستمر الفراغ الإمبراطوري لأكثر من ٤ سنوات. يرى المؤرخون أن هذا الفراغ الرئاسي المفاجئ كان سبب الأحداث اللاحقة التي أدت في نهاية المطاف لانحلال الوحدة المغولية .

عن هذه الموضوع ينظر :

Saunders , J. J.: The history of the Mongol Conquests , (London : 1977) pp 87-89.

بارتولد فاسيلي ، فلاديميروفتش : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٦٧١

* **الرهبنة الفرنسيسكانية**، ويعرف رهبانها باسم الفرنسيسكان، هي رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس فرنسيس الأسيزي في شمال إيطاليا في القرن الثالث عشر تحديدًا عام ١٢٠٨ وثبت قوانينها البابا إينوسنت الثالث عام ١٢٠٩، وتعتمد على روحانية القديس فرنسيس، والقوانين التي وضعها بشكل أساسي. تتالف الرهبنة من ثلاث فروع رهبنة رجالية، ورهبنة نسائية، وما يعرف بالرهبنة الثالثة التي ينضم إليها المدنيون، الذين يبقون في العالم لا في الدير، ويحق لهم الزواج وإنما يلتزمون بفروض وصلوات الرهبنة وتأملاتها

عن المزيد من المعلومات عن طائفة الفرنسيسكان

John .Moorman : A History of The Franciscan Order from Its Origins to The Year (1517 (Oxford :The Clearendon press : 1968)

7- Marshall W.Baldwin : Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth centuries in A History of The Crusades Editor Genral By Kenneth M. Setton Volume . V (The University of Wisconsin Press , Ltd . 1985) p 470 . ؛ Peter Jackson : THE MONGOLS AND EUROPE in The New Cambridge Medieval History Volume V c. 1198–c. 1300 EDITED BY DAVID ABULAFIA Cambridge University Press, 2008, p 706 .

* ولد جون بلانو كار بيني (١١٨٥- ١٢٥٢)بالقرب من مدينة اسيس الواقعة على الساحل الايطالي الشرقي المواجه للبحر الادرياتيكي

8- Harold T. Cheshire : The Great Tartar Invasion of Europe , The Slavonic Review, Vol. 5, No. 13 (Jun., 1926), pp. 89-93 ; Christopher Dawson .G.Edited : The Mongol Mission , Translated By A Nun of Stanbrook , Sheed and Ward , New yourk . 1955. p Xv ,

عادل اسماعيل هلال : العلاقات بين المغول واروبا واثرها على العالم الاسلامي ، (عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ١٩٩٧)، ط١ ، ص٥٨.

* **بوهيميا** منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى. تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك.. يحدها من الغرب والشمال الغربي والجنوب الغربي ألمانيا، ومن الشمال الشرقي تحدها بولندا، وتقع النمسا إلى جنوبها ومنطقة مورافيا إلى الشرق منها. تشكل جبال السوديت وجبال شومافا حدودا طبيعية للمنطقة في شمالها. في اللغة التشيكية لا يوجد فرق بين الكلمتين بوهيمي وتشيكي فكلاهما مرادف للأخر. سمى الرومان المنطقة قديما "بوي هايمام" التي تعني بالجرمانية موطن البوي إحدى القبائل الكلتية. كانت المنطقة مقصدا

للقبائل الجرمانية المهاجرة إليها أو التي تعبر منها إلى مناطق أخرى. استقرت بعض القبائل الجرمانية في بوهيميا منذ القرن الأول قبل الميلاد ثم تركوا المنطقة للقبائل السلافية التي سكنت في بوهيميا منذ القرن السادس الميلادي

(٩)

10- Christopher Dawson : bid , p 62.

* توراكنه خاتون : كانت توراكنه خاتون من قبيلة اوهات المركيت تولت تصريف شؤون الحكم بعد وفات زوجها اوكداي خان حتى تنصيب ابنها كيوك خان وكانت تدين بالمسيحية ، ولهذا عهدت إلى الأمير قداق المسيحي بالإشراف على تربية ابنها كيوك منذ الصغر ، ولما اعتلى عرش المغول ، قرب إليه جينقاي الذي كان يعمل مستشارا ووزيرا لأبيه ، وكان من قبيلة كرايت ، ويدين أيضا بالمسيحية ، ولم يكتف كيوك بهذا بل قلّده منصب الوزارة ، فكان لهذين الرجلين تأثير كبير على الخان المغولي ، إذ صار يعطف عطفا شديدا على رعاياه من المسيحيين من أمثال الأرمن والكرج والروس . ولما شاع ذلك عن كيوك صار يقصد بلاطه كثير من القسيسين والرهبان من مختلف المناطق ، ففي سنة ١٢٤٥م عزز البابا انوسنت الرابع جهوده لإنقاذ العالم المسيحي في الشرق الأدنى ، بأن أنفذ سفارتين إلى منغوليا ، فغادرت السفارة الأولى برئاسة الراهب الفرنسيسكاني يوحنا دي بلان كاربين في أبريل من تلك السنة ، والسفارة الثانية كان على رأسها الراهب الدومنيكاني أسكلين اللومباردي

عن الدور الذي لعبته نساء خانات المغول المسيحيات ينظر

رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من اوكتاي قاآن الى تيمور قاآن) نقله الى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد ، راجعه وقدمه له يحيى الخشاب ،(دار الطليعة ، بيروت : ١٩٨٣) ط١ ، ص ص ص ١٨٤-١٨٥ ؛

James D. Ryan :Christian Wives of Mongol Khans: Tartar Queens and Missionary Expectations in Asia , Journal of the Royal Asiatic Society, Third Series, Vol. 8, No. 3 (Nov., 1998), pp. 411-421

(١١) - ابن العبري ، غريغورس ، (ت : ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٥٨) . ص ٢٢٥ .

(١٢) ابن العبري : المصدر نفسه ، ص ٤٥٠

عن محتوى رسالة البابا وجواب الخان كيوك خان ينظر

Christopher Dawson : bid .pp 74-86.

13- Marshall W.Baldwin: Ibid p473.

للتفصيل عن هذا الوصف ينظر

RAYMOND BEAZLEY : I bid, pp 275-315.

(١٤)

15- Lane, George : Daily life in the Mongol empire. Printed in the United States of America 2006, pp 200-201 .

16 John Andrew Boyle Turkish and Mongol Shamanism in the Middle Ages

Folklore, Vol. 83, No. 3 (Autumn, 1972), pp. 177-178 ; Klaus Hesse: On the History of Mongolian Shamanism in Anthropological Perspective , Anthropos, Bd. 82, H. 4./6. (1987), pp 405-406.

17- Lane, George : Ibid ,p182

18-lane : Ibid , p 24

19- Christopher Dawson :(The Journey of William of Rubruck) I bid p 195 .

20- Friar Giovanni di plano Carpini's : The story of the Mongols whom we call the Tartars translated by Erik Hildinger (Boston : 1996),p 43.

21 - Christopher Dawson :(The Journey of William of Rubruck) I bid p140

22- Carpini :I bid p 43.

(٢٣) ميرسيا إلياد " تاريخ المعتقدات والافكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس ، (دار دمشق : دمشق ١٩٨٦) ط١ ، ج٣ ، ص ١٠ .

عن نظرة الصينيين لملوكهم ينظر

Julia Ching :Son of Heaven: Sacral Kingship in Ancient China , T'oung Pao Second Series, Vol. 83, Fasc. 1/3, State and Ritual in China (1997), pp. 3-41

* القديس واامير روسي من اسرة روريك كان حاكما للمدن الروسية بيرياسلافل (١٢٠٦م) وكييف (١٢٣٦- ١٢٤٣ م) وعلى نوجوفورد - سيريفسك (١٢١٩-١٢٢٦م) وعلى مدينة هالتش (١٢٣٥-١٢٣٦م) وعلى تشيرنيجوف (١٢٢٣-١٢٤٦م) خضعت جميع ممتلكاته لحكم المغول اعلن تبعيته لباتو خان . وزار الاوردو سراي اكثر من مرة للحصول على يارليغ بالحكم

عن هذه الأمير وسلالته وعلاقتهم بالمغول ينظر

MARTIN DIMNIK : THE DYNASTY OF CHERNIGOV, 1146-1246 (Cambridge University Press, New York : 2003) pp 268-374.

24- Carpini :I bid p 47.

25 - Carpini :I bid p 44.

(٢٦) ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد (مكتبة الاسرة ، القاهرة : ٢٠٠٤) ط٢ ، ج١ ص ٨٠.

27- Tao-Chung Yao : Ch'iu Ch'u-chi and Chinggis Khan , Harvard Journal of Asiatic Studies, Vol. 46, No. 1 (Jun., 1986), p 207.

28- Ibid ,p p2 11-213 .

29- Carpini :I bid p 47

30- Carpini :I bid p 47

31- Carpini :I bid p 47.

32- Carpini :I bid p 49.

33- Carpini :I bid p 48.

(٣٤) البنكاتي ، ابو سليمان داود بن ابي الفضل محمد : روضة اولى الالباب في معرفة التواريخ والنساب (تاريخ بنكاتي) ، ترجمة محمود عبد الطريم علي (المركز القومي للترجمة ، القاهرة : ٢٠٠٧) ص ٤٠٩
وعن عن تفصيل موضع دفن جنكيزخان ينظر

Bat- Ochir Bold : The death and Burial of Chinggis Khan , Central Asia Survey (2000),19 (1), pp 95-115

(٣٥) رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان ، ص ١٨٥.
وعن الصراع بين كيوك وباتو ينظر
- Rene Grousset : The Empire of The Steppes (A History of Central Asia) , translated from French by Naomi Walford , (The State of University of New Jersey : 1970), p272.

(٣٦) رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان ، ص ص ٢٤٢-٢٤٩ .

37- Carpini :I bid p 49.

38- JOHN ANDREW BOYLE : FORM OF HORSE SACRIFICE AMONGST THE 13th- AND 14th-CENTURY MONGOLS ,Central Asiatic Journal Vol. 10, No. 3/4 29 Augustus-3 September 1964 (December 1965), pp. 145-150

39- Carpini :I bid p 49.

40- Carpini :I bid p 47

(٤١) ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد : رسالة ابن فضلان (في وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة) حققها وعلق عليها وقدمها سامي الدهان ، (مطبوعات المجمع العلمي العربي : دمشق.د.ت) ، ص ٩٩

(٤٢) الجوزجاني ، منهاج الدين عثمان بن سراج الدين : طبقات ناصري ، ترجمة وتعليق ملكة علي تركي ، المركز القومي للترجمة (القاهرة : ٢٠١٢) ط١ ص ١٩١ .

(٤٣) رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ خلفاء جنكيزخان ، ص ٣٠ .

45- Carpini :I bid p 49

46- carpini : Ibid .p 48 .

The Funeral rites of the Mongols in the perspective of trips: the tripe of John Plano Carpini (1245-1247) as model

The rites and practices of the pastoral tribes, concerning the dead were similar, since they shard the same life and climate, the same environment, blood and race to the extent that they were described by the travelers in different period alike. their rites ,however , remained unknown even for the Europeans till some Christian travelers visited that land and wrote important information in there memoirs .their visits were having religious and political aims especially after the Mongols had occupied many wide land whether relating to the Muslims or Christians , during the 13th century C.E / the 7th century A.H.

The efforts of the Christian Nestorian and Latin missions had provided much information about the life of the Mongols .that life remained unknown foe west of Europe ,and thus, the implications of Mongols culture were not exactly examined or discovered deeply except via the papal trips, like the one related to pastor John Plano Carpini which left behind a valuable description about trips and the situations that were common among the Mongols Society in general , and palace in particular . Such information .however, can not be relied on completely as the legendary style seems clearly available within which reflected his culture and the ability of analyzing of what he saw or heard from their behaviors. The trips participated actually, in analyzing the behaviors and religious rites relating the Mongols as well as pointing there beliefs impressions about nature and its effect on life and death.